

تذكارُ القديسين إيساكوس وذلماتوس وفاوستس من دير الدلماتيين

تُعبد كنيستنا اليوم وتكرّم الذكرى المقدّسة لثلاثة رهبان قديسين: ذلماتوس، وإسحاقوس، وفاوستس. وينبغي أن نتميّز بين النّسك والرهبنة؛ فالنّسك والرهبنة ليسا أمرين متضادين، ولكنهما ليسا شيئاً واحداً تماماً. لقد تحدّثنا إلى الآن عن كثيرين من النّسك والمتوحّدين، أما الرهبان والأديرة فلعلنا لم نتحدّث عنهم بعد.

فالأديرة الكبرى، بخلاف الأساقيط، هي أخويات رهبانية منظمّة بحسب نظام الشركة، وتمثّل نموذجاً للشركة الكنسيّة، كما كانت الجماعات المسيحيّة الأولى في أورشليم، التي يشهد لها سفر أعمال الرسل.

ومن غير أن نُطيل الآن في هذا الموضوع، نذكر فقط النصّ المتعلّق به من سفر الأعمال: «وَكَانَ جُمُهورُ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبًا وَاحِدًا وَنَفْسًا وَاحِدَةً، وَمَ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا» (أع ٤: ٣٢). وعلى خلاف الغرب، حيث توجد رتب رهبانية كثيرة، فإنّ جميع الأديرة المشتركة والأخويات الرهبانية في الكنيسة الأرثوذكسيّة الشريفة تسير بحسب نموذج القديس باسيلوس الكبير وقانونه. وهكذا فإنّ الرهبنة الباسيليّة في الأرثوذكسيّة، بأديرتها الكثيرة والكبيرة ذات الحياة المشتركة، قدّمت خدمات عظيمة للكنيسة، ولا سيّما في زمن الهرطقة الكبرى، كما خدمت الحضارة عموماً.

ومن هذه الأخويات المشتركة، التي نُظمت تنظيمًا نموذجيًا في القرن الخامس في القسطنطينيّة، كان دير الدلماتيين، وكان رئيسه إسحاقوس، ومعه خمسمئة راهب. وكان ذلماتوس ضابطاً في الحرس الإمبراطوري - والمرجّح سنكسارياً أنّ ذلك كان في زمن الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير - وكان متزوّجاً وأباً لولدين، وتربطه صداقة برئيس الدير إسحاقوس. فاتفق مع زوجته: فأخذت هي ابنتهما ورجعت إلى والديها، أمّا ذلماتوس فأخذ ابنه فاوستس وذهب إلى الدير عند إسحاقوس. وهناك تميّز ذلماتوس بنسكه وفضيلته، حتى إنّ، بعد رقاد إسحاقوس، خلفه في رئاسة الدير.

وكان مؤسس الدير في زمن سابق راهباً آخر يُدعى ذلماتوس، ومنه أخذ الدير اسمه، فبقي معروفاً في التاريخ باسم «دير الدلماتيين». وفي هذا الدير تولى ذلماتوس الرئاسة. ولم يخرج الرئيس ذلماتوس من الدير إلاّ مرّة واحدة، وذلك سنة ٤٣١، حين انعقد المجمع المسكوني الثالث في أفسس. عندئذٍ خرج ذلماتوس، ومعه جميع إخوة الدير،

وذهب إلى القصر الإمبراطوري، ليساند عمل المجمع ضدّ البطريك المهترق نسطوريوس. فقد كان من الضروري أن يُبلغ الإمبراطور، بمسؤوليّة ووضوح، بِسَمِّ الهرطقة القاتل التي كانت تُقلق الكنيسة وتزعزع سلامها.

ومرّة أخرى أيضاً توسّط الرئيس ذلماتوس لدى الإمبراطور من أجل القديس كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي كان المقاوم الأوّل لهرطقة

نسطوريوس. وقد اعترف آباء المجمع المسكوني الثالث بخدمات الرئيس ذلماتوس للكنيسة، ولذلك منحوا دير الدلماتيين امتيازاً وحقّ الصدارة بين جميع أديرة القسطنطينيّة. هكذا كان إنسان واحد ثميناً ونافعاً جداً للكنيسة؛ ولهذا عظم إكرام المجمع لذلماتوس، وعظم الاحترام الذي أحاطه به الجميع في زمانه. وعندما رقد ذلماتوس سنة ٤٤٠، خلفه في رئاسة الدير ابنه الراهب فاوستس.

لقد حفظ القديس ذلماتوس حرفياً كلمة الرب يسوع المسيح في الإنجيل: ترك كلّ شيء، الرتبة والزوجة والأولاد، ومضى إلى الدير. ونحن لا نستطيع بسهولة أن نفهم مثل هذه الأعمال العظيمة أو أن نقنّدي بها. ولكن ليس قليلاً أن نكرّم ونتعجب من مثل هؤلاء الناس، الذين، في ذلك الزمان والآن ودائماً، إذ يحملون في داخلهم عشقاً إلهياً، يتجاوزون مقاييس الطبيعة البشريّة. فنعمة الله، حين تجد في الإنسان أرضاً صالحة، تُثمر فيها زرع القداسة. وهؤلاء القديسون يصيرون أدوات الله في الكنيسة، لكي يتقوى الإيمان، ويتعلّم الناس وينتفعوا بمثالهم. وكلّ ذلك لمجد الله. آمين.

ملحوظة: أمّا القديس إسحاقوس (انظر ٣٠ أيار)، فقد اشتهر بموقفه الجريء تجاه الإمبراطور المهترق فالنس (Valens)، إذ التقاه أثناء حملته ضدّ السكثيين، ويروى أنّه أنذره قبل خروجه إلى الحرب، مُعلناً له أنّه إن لم يرجع إلى الإيمان القويم فلن يعود حيّاً. وقد تحققت هذه النبوءة، إذ قُتل فالنس في تلك الحملة، فظهر ثبات القديس وجرأته في قول الحق، وقد رقد إسحاقوس في شيخوخة عميقة.

كما أنّ القديس ذلماتوس كان له دور بارز في الدفاع عن الإيمان القويم خلال انعقاد المجمع المسكوني الثالث، حيث وقف ضدّ تعليم البطريك المهترق نسطوريوس، مسهّماً في تثبيت الإيمان الأرثوذكسي كما أنّ دير الدلماتيين صار لاحقاً مركزاً روحياً مؤثراً في القسطنطينيّة، وكان له دور بارز في الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي.



أحد متّى الحادي عشر * الأحد الحادي عشر بعد العنصرة اللحن الثاني وتذكار القديسين إيساكوس وذلماتوس وفاوستس البيوثنا الحادي عشر



(من دير الدلماتيين)
يُصادف يوم الأربعاء القادم،
٦ آب (شرقي)،
الموافق ١٩ آب (غربي)،
عيد تجلي
ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح
على جبل تابور.



طوبارية شفيع / لة الكنيسة

القنّداق:

تجلّيت أيّها المسيح الإله على الجبل، فعائِن تلاميذك مجدك حسبما استطاعوا. حتّى أنّهم لمّا أبصروك مصلوباً أدركوا أنّ موتك طوعي باختيارك. وكرزوا للعالم بأنك أنت شعاع الآب حقاً

طوبارية القيامة على اللحن الثاني: - عندما انحدرت إلى الموت، أيها الحياة الذي لا يموت حينئذ أمتّ الجحيم بيق لا هوتك وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى صرخ نحوك جميع القوات السماويين: أيها المسيح الإله معطي الحياة المجد لك .

ابولييتيكية للقديسين - على اللحن الرابع:

يا إله آباتنا الصّانع بنا دائماً ما تقتضيه وداعتك. لا تصرّف رحمتك عنّا. بل بتضرعاتهم دبّر حياتنا بسلام.

يا رب، أنت قلت: أنتم نور العالم وأنتم ملخ الأرض، فأنعِم علينا أن نسير في موكب نصرتك ونُظهر نورك في هذا العالم. آمين.

قوّتي وتسبحتي الربُّ ادباً أدبني الربُّ

الرسالة فصل من رسالة القديس بولس الرسول الأولى الى أهل كورنثوس (٢: ٩-١٢)

ناموس موسى: لا تكّم ثوراً دارساً. أعلّ الله تهمة الشيران * أو قال ذلك من أجلنا لا محالة؟ بل إنّما كُتب من أجلنا. لأنّه ينبغي للحوادث أن يحث على الرجاء وللدارس على الرجاء أن يكون شريكاً في الرجاء * إنّ كُنّا نحن قد زرنا لكم الروحيّات أف يكون عظيمًا أن نحصد منكم الجسديات؟ * إنّ كان آخرون يشتركون في السلطان عليكم أفلسنا نحن أولى؟ لكنّا لم نستعمل هذا السلطان بل نحتمل كلّ شيء لتلا نُسبب تعويقاً ما لبشارة المسيح.

يا إخوة إنّ ختم رسالتي هو أنتم في الربِّ * ولهذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني * أعلّنا لا سلطان لنا أن نأكل ونشرب * أعلّنا لا سلطان لنا أن نجول بامرأة أحت كساتر الرسل وإخوة الربِّ وصفا؟ * أم أنا وبرنابا وحدنا لا سلطان لنا أن لا نشغل؟ * من يتجنّد قط والنفقة على نفسه؟ من يغرس كرماً ولا يأكل من ثمره؟ أو من يرعى قطعاً * ولا يأكل من لبن القطيع؟ * أعلّي أتكلم بهذا بحسب البشريّة أم ليس الناموس أيضا يقول هذا؟ فإنّه قد كُتب في

تهيب جمعية نور المسيح بأبناء الكنيسة أن يساهموا في نشر كلمة الخلاص، بتوصيل هذه النشرة إلى الأقارب والجيران والمرضى والمتعبين. والهدف هو: المسيح، خلاص نفوسنا. «ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم إنّه لا يضيع أجره».

إن أردت أن تخلص، فلا تُدِن، ولا تكن راصدًا لخطايا الآخرين، بل ارحم كما رُحمت.

الإنجيل

فصل شريف من بشارة القديس متى

الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (متى ١٨: ٢٣-٣٥)



قال الربُّ هذا المثل: يشبه ملكوت السموات انسانًا ملكًا أراد أن يحاسب عبيده * فلما بدأ بالمحاسبة أحضر اليه واحدٌ عليه عشرة آلاف وزنة * واذ لم يكن له ما يُوفي، أمر سيده أن يُباع هو وامراته وأولاده وكل ما له ويوفى عنه * فخر ذلك العبد ساجدًا له قائلًا: تمهل علي فأوفيك كل ما لك * فرق سيده ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين * وبعدما خرج ذلك العبد وجد عبدًا من رفاقه مدينًا له بمئة دينار فأمسكه وأخذ يخنقه قائلًا: أوفني ما لي عليك * فخر ذلك العبد على قدميه وطلب اليه قائلًا: تمهل علي فأوفيك كل ما لك * فأبى ومضى وطرحه في السجن حتى يوفي الدين * فلما رأى رفاقه ما كان حزنوا جدًا وجاؤوا فأعلموا سيدهم بكل ما كان * حينئذ دعا سيده وقال: أيها العبد الشيرير كل ما كان عليك تركته لك لأنك طلبت إلي * أما كان ينبغي لك أن ترحم أنت أيضًا رفيقك كما رحمتك أنا؟ * وغضب سيده ودفعه إلى المُعدِّين حتى يوفي جميع ما له عليه * فهكذا أبي السماوي يصنع بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحدٍ لأخيه زلاته.

علينا أن ندخل إلى العمق، فنرفض التدين السطحي، ونرجع إلى ذواتنا بصدق، لنحيا علاقة حية مع المسيح. ولا نكتفي بحضور القُداس، بل نسعى إلى فهم سره ومعانيه.

ولا نصلي بسرعة كأننا نؤذي واجبًا، بل نُوقف الزمن لنصغي إلى صوت الله فينا.

ولا نقرأ الإنجيل كقصص ماضية، بل ككلمة حية تُخاطب قلوبنا اليوم.

«الرحمة نقيض إدانة الآخرين» بحسب تعليم القديس إسحق السوري

الآخرين. الرحمة لا تقف عند حدود «الصح» و«الخطأ» كما يفهمها الإنسان، بل تتبع من قلبٍ قرر أن يغفر، وأن يسير مع الآخر، حتى وإن كلفه ذلك التخلي عن التشدد في المطالبة بالحق.

الرحمة تعني أن ننسبَ بالله، الذي غفر للعبد المدين بعشرة آلاف وزنة، ولم يتصرّف مثل ذلك العبد الذي، بعد أن نال الغفران، أمسك رفيقه وألقاه في السجن من أجل دين زهيد.

الرحمة هي محبة، وهي أيضًا وعي لما هو حق وما هو باطل، لكنّها في الوقت عينه قرارٌ بأن ننظر إلى الآخر بعين الفهم والشفقة، لا لنُدله، بل لنساعده على أن يرى حقيقة نفسه، وأن ينال فرصة جديدة.

غير أنّ هذا الطريق ليس سهلًا. فهو يصطدم بحاجتنا إلى وضع حدود، وهذه الحدود ضرورية لحياتنا المشتركة. ولا يمكن أن تُبنى هذه الحدود إلا على تمييز بين الحق والباطل، وعلى حكم عادل.

لكنّ الحياة لا تُبنى على الحدود وحدها. لأنّ الإنسان لا يخلص بالقانون فقط، بل بالمحبة.

فالرحمة، ولا سيّما رحمة الغفران، تلمس في قلب الإنسان وترًا خفيًا: وتر الامتنان والغيرة الصالحة. وهذا - مهما حاولت التجارب أن تطمسها - قد يكون الدافع الأعمق لتصحيح الأخطاء وتغيير القلب. ولو احتاج ذلك إلى وقتٍ وصبرٍ وصلابة.



إنّ الإنسان في حياته يطلب دائمًا أن يُثبت «حقه». أحيانًا يكون هذا الحق قائمًا فعلاً، وعندما لا يُعترف به، يتألم ويتذمّر بحق. غير أنّ الإنسان، في أحيان كثيرة، لا يطلب الحق بقدر ما يطلب أن يكون هو على حق، مهما كانت الظروف.

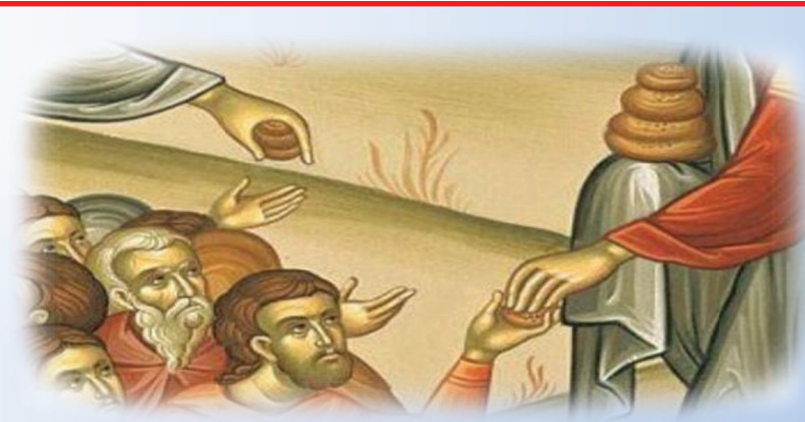
أهو تعلق بالسلطة؟ أم هو انغلاق في النظرة؟ أم هو كبرياء خفي يجعل الإنسان يظنّ أنّ العالم يتمحور حوله، فلا يحتمل الانتزاع الذي يتطلبه الاعتراف بالخطأ، سواء في سلوكه، أو في حكمه على الآخرين، أو في أعماق شخصيته؟ وهكذا يتحوّل «الحق» في نظره إلى مطلب لا يُمس، وإلى قاعدة لا يُساوم عليها. لذلك نرى الإنسان، ولا سيّما في شبابه، يرفض أن يُظلم، بل قد يفضل - ويا للأسف - أن يُظلم، أحيانًا بقساوة.

غير أنّ «الحق» الذي يتمسك به الإنسان غالبًا ما يكون مبنياً على رؤية جزئية. فأنا أعتبر نفسي على حق حين لا أخالف القانون، أو حتى حين أخالفه لأنّ غيري يخالف أكثر مني، أو لأنّي أرى في مخالفتي ردًا على ظلم أكبر. وأرى نفسي على حق حين لا أضع نفسي مكان الآخر، وحين أفتس الأمور بمعايير مطلقة، وحين أطلق حكمي كأنه الحكم النهائي، وحين أجعل إرادتي معيار كل شيء. وهكذا يصير «حقي» صنمًا لا أساوم عليه.

لكنّ التعليم النسكي يأتي ليقبل هذا المنطق. فالرحمة هي نقيض إدانة

عن الرحمة

للقديس يوحنا الذهبي الفم
رئيس أساقفة القسطنطينية



يرحم الفقير، يُكرم المسيح نفسه.

تأمل قوّة هذا القول: إن كان الإنسان، لمجرد أنّه أحسن إلى إنسان، ينال مثل هذا الإكرام، فكم بالحرّي إذا كان قد أحسن إلى المسيح نفسه! فكّر ماذا سيقول المسيح للملائكة: «هذا، حين كان على الأرض، قد استضافني». فأبى جرأةً وأبى دالةً تكون لذلك الإنسان، الذي يكون المسيح نفسه شفيعًا له!

عظيمٌ إذا هو شأن الرحمة، يا إخوتي. فلنحبّها، إذ ليس شيءٌ أعظم منها. هي قادرة أن تمحو كلّ خطيئة، وأن تُخلّصنا من الدّينونة. وهي لا تنقص حين تُعطى، بل تزداد. كما أنّ الماء كلما استقي منه فاض أكثر، هكذا أيضًا الرحمة.

أعطِ حبرًا إن استطعت؛ وإن لم يكن لديك حبر، فأعطِ فلسًا؛ وإن لم يكن لديك فلس، فأعطِ كأس ماء بارد؛ وإن لم يكن عندك هذا أيضًا، فاشعر بالآلم المتألم وشاركه حزنه. فإنّ الأجر لا يتوقّف على مقدار العطاء، بل على نية القلب.

الرحمة والحرية الحقيقية - حسب القديس غريغوريوس النيصي

بقوله: إنّ الرحمة هي اشتراك محبّ في ألم الذين يعانون، وأنها تتبع من المحبة ولا تقوم بدونها. وهكذا لا تنحصر الرحمة في إعطاء أشياء مادية، بل تعني أن يدخل الإنسان في وجع أخيه، وأن يحمل معه أثقاله. فالرحمة ليست فقط أن تقدّم شيئًا، بل أن تقدّم نفسك أيضًا؛ وفي جوهرها، الرحمة هي محبة عاملة.

إنّ الرحمة الحقيقية تفترض حرّية حقيقية، وتقود الإنسان إلى الحرّية الداخلية الصادقة، لأنها عطاء بلا مصلحة. وهي لا تُفهم على المستوى الأخلاقي أو النفسي وحده، لأنّ الرحمة التي تظهر في حياة القديسين هي ثمرة تجديدهم الداخلي بالروح القدس. فالقديس رحوم وشفوق، لأنه اختبر أولاً رحمة الله وشفقته عليه، وهو يعلم أنّه غير مستحق لها. إنّها حياة في النعمة: من رُحِمَ يرحم، ومن أحبّ يحب.

ويشير القديس غريغوريوس النيصي أيضًا إلى قول الرب: «طوبى للرحماء، لأنّهم يُرحمون» (متى ٥: ٧)، مبيّنًا أنّ المسيح في هذه التطوية يدعونا إلى التشبّه بالله. فإذا كان الله وحده رحومًا بالحقيقة، فإنّ دعوته لنا أن نصير رحماء هي دعوة إلى أن نصير مشاهدين له، أي آلهة بالنعمة.

فداء النفس هو الرحمة. لذلك، كما توضع الأحواض المملوءة ماءً أمام أبواب الهيكل لتغسل يديك قبل الدخول، كذلك يجلس الفقراء خارج الهيكل، لكي تغسل بواسطتهم يدي نفسك. لقد غسلت يدي الجسد، فاعسل أيضًا يدي النفس بالرحمة.

لا تحتقر الفقير؛ فبالأرملة الفقيرة في صرّفة صيدا أظهر الله نبيّه إيليا، ولم يكن فقرها عائقًا، بل صارت طريقًا إلى الجد. لذلك نالت بركة عظيمة، إذ لم ينفد دقيقها ولا زيتها.

وقد يقول أحدهم: «أعطني إيليا». ولماذا تطلب إيليا؟ إنّ السيّد يعطيك بدل إيليا نفسه؛ أفليس هذا أعظم؟ فإن كنت قد وجدت إيليا، فماذا تنال أكثر من ذلك؟ قدّم جوابك للسيّد الذي يقول: «بما أنّكم فعلتُموه بأحدٍ إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتُم» (متى ٢٥: ٤٠).

وإن دعاك ملكٌ إلى مائدة، وقال لخدمته: «طوفوا في المدينة، وستجدون إنسانًا فقيرًا قد استضافني وأحسن إلي»، أفلا تبادر حينئذٍ إلى خدمته بكلّ اجتهاد؟ أفلا تسعى إلى ملازمته بمحبة ووفاء؟ هكذا أيضًا، من

إذا قلنا لإنسانٍ مبتدئ في الحياة الروحية أن يصنع رحمة، فمن المرجح أن يعطي الفقراء أقلّ ممّا يستطيع، وأن يفعل ذلك مدّة قصيرة فقط. فإن يعطي الإنسان من فائض ما عنده أمرٌ ممدوح عند الناس، ويفعله كثيرون بدرجاتٍ مختلفة. أمّا أن يعطي ما هو ضروري لبقائه، وما يتعلّق بأمانه ومعيشته، فهذا عملٌ مرضيٌّ لله، وهو، إن لم يكن مستحيلًا بحسب المقاييس البشرية، فهو شديد الصعوبة.

فالإنسان الذي يعيش على مستوى أخلاقي خارجي فقط، غالبًا ما يجعل محبة الذات مقياسًا لأعماله. لذلك لا يستطيع أن يصنع الرحمة الحقيقية، إلا إذا كان ينتظر مقابلًا: إمّا تقديرًا من الناس، أو شعورًا دينيًا يرضي به نفسه.

وترتبط الرحمة بالإيمان كما ترتبط بالمحبة. فالإيمان، في عمقه، هو ثقة؛ وهذه الثقة هي مفتاح الرحمة. وبكلام واضح: إنّ من يعجز عن الرحمة يكشف أنّه يسلم حياته للأشياء المخلوقة، كالمال والضمانات الأرضية، أكثر ممّا يسلمها لله غير المخلوق.

أما كيف ترتبط المحبة بالرحمة، فيوضحه القديس غريغوريوس النيصي